وقفات مع حادث الإسراء والمعراج

بقلم: د. أحمد نوفل
كلية الشريعة ـ الجامعة الاردنية

الوقفة الاولى:

ان حادث الاسراء والمعراج حدث متصل، لكن حديث القرآن الكريم عنه فصله في سورتين، هما الاسراء والنجم، تحدثت الاولى عن حادث الاسراء، وتحدثت الثانية عن حادثة المعراج.

ولعل هذا الفصل في الحديث عن جزئي الحادثة الواحدة أن كلاً منها آية عظمى تستحق حديثاً وسورة، وحتى يسهل على القارئ التأمل في الآيتين الضخمتين كل آية في سورتها المستقلة، كان هذا الذي كان.

والظاهرة التي تستوقف النظر أن حادثة الاسراء ذكرتها سورة الاسراء في آية واحدة هي فاتحة السورة، أما حادثة المعراج الى السموات العلا فقد فصلتها عدة آيات من سورة النجم.

وتأمل هذا التناسب في اسماء السور مع الحدث الذي تغطيه كل سورة. فحادث المعراج الذي هو صعود وارتفاع في السماء سجلته سورة النجم.. ليتناسب علو النجم مع علو النبي الكريم عليه الصلاة والتسليم في السماء ورقيه فيها.
هذه وقفة اولى.

الوقفة الثانية مع مناسبات الآيات في سورتي النجم والاسراء:

نتأمل ختام سورة النحل وبدء سورة الاسْراء. ثم ختام سورة القمر وبدء سورة النجم لنرى كيف يكون التناسب والتناسق... ولنكون من الموقنين أن هذا كلام رب العالمين.

آخر سورة النحل: «واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون. ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون».

وأول الاسراء: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله»..

ان الختام لسورة النحل مع فاتحة الاسراء كانها حديث واحد متصل، فهذا مصداق أن الله مع الذين اتقوا: ان النبي أسري به ليذهب عنه الحزن والضيق الذي نهي عنه في ختام سورة النحل.

وآخر الطور: «واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم».

ثم أول النجم: «والنجم اذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى»..

آخر الطور كآخر النحل يأمر بالصبر ليكون حديث الاسراء والمعراج كأنه بيان لعاقبة الصبر والصابرين.

ثم لاحظ ثانياً، أن كلا السورتين المتحدثتين عن الحادثتين مختوم بالسجدة وكلاهما مختوم بالحديث عن القرآن الكريم، وكلاهما مختوم بالعبادة:

«وبالحق أنزلناه وبالحق نزل، وما أرسلناك الا مبشراً ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا. قل آمنوا به أولا تؤمنوا، ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً، ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا.

ويخرون للأذقان يبكون، ويزيدهم خشوعا. قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى، ولا تجهر بصوتك ولا تخافت بها، وابتغ بين ذلك سبيلا. وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا».

وفي النجم:

«هذا نذير من النذر الاولى. أزفت الآزفة. ليس لها من دون الله كاشفة. أفمن هذا الحديث تعجبون. وتضحكون ولا تبكون، وأنتم سامدون. فاسجدوا لله واعبدوا».

ووجه ختم السورتين بالعبادة والسجود أن هذه الحالات هي أقرب حالات العبد من الرب، ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم سيزداد بهذه الرحلة قرباً من مولاه، ودنوا من كنف ربه العظيم ناسب ان تختم السورتان بأقرب ما يقرب العبد وهو السجود والعبادة.

وسبحان من هذا كلامه.

حاجة الداعية الى تجديد الايمان واليقين

من خلال الاسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد انسداد الآفاق أمامه نتعلم أن الداعية يحتاج الى تجديد يقينه ومعنوياته من خلال رؤية المؤمنين والعابدين..

ومن هنا فانه كما يحتاج الانسان الى الاستظلال بالظل الوارف بعد طول المسير في الهاجرة ولفح الشمس، فان الداعية يحتاج بعد المعاناة الى المواساة، ومن هنا كان القرآن يمسح دائما على آلام النبي وجراحه، وهيأ القدر لرسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة رؤوماً مواسية تهون عليه كل ما يلاقي..

ولما تكثفت المعاناة واشتدت الهاجرة وكان هذا الاكرام العظيم بالاسراء بالنبي الكريم ثم العروج به الى هذا المقام السامي.

من قضايا الاسراء : رؤية الآيات

ففي سورة الاسراء: «لنريه من آياتنا».

وفي سورة النجم : لقد رأى من آيات ربه الكبرى».

وبعد الحديث عن الاسراء، والحديث عن القرآن لَفَتَ القرآن

النظر الى آيتي الليل والنهار: «وجعلنا الليل والنهار آيتين».

لقد جعل الله عز وجل الكون مشحوناً بالآيات، مليئاً بالدلالات على وحدانيته وقدرته وعلمه.

وعلى الانسان ان يفتح بصره وفكره وبصيرته ليتلقى ما يرسله الكون من آيات تدله على الباريء تبارك وتعالى..

ان ايماننا ينبغي أن يكون إيماناً مدعماً بالدليل قائماً على النظر، وتفتح العقل..

ان الايمان المدعم بالدليل هو الذي يثبت للزلازل والنوازل، وهو الذي يدفع الى التضحية والجهاد والصبر. والايمان التقليدي المهزول الضعيف الذي نعيش به وعليه اليوم لا يدفع ولا يرفع ولا ينفع النفع الكامل المطلوب..

وتأمل من حياة ابراهيم عليه السلام: «وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين».

ومن حياته أيضاً: «واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحي الموتى قال آولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي».

ومن يحي يوماً ولا يستفيد
فأعمى البصيرة أعمى البصر
فذا الكون جامعة الجامعات
وذا الدهر أستاذها المعتبر

عمارة المسجد الأقصى بالصلاة

صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد الأقصى إماماً بالنبيين، وفرض الصلاة عليه إشارة الى ضرورة أن يبقى المسجد الأقصى معموراً بالمصلين، حتى اذا جاء العدو اليهودي يريد تهويد الأرض وتحويل الاقصى الى هيكل وجدوه معموراً..

ان الارض المهجورة تغري باستعمارها والاستيطان فيها.. ومن هنا كان الرباط في ذاك المكان المطهر جهاداً ورباطاً في سبيل الله كما أخبرت بذلك الأحاديث الكثيرة..

ومعنى آخر نستفيده من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم إماماً بالنبيين أن دينه عليه الصلاة والسلام هو الدين الوارث للأديان جميعاً والدين الناسخ للدين كله وللرسالات كلها وانه لا يقبل عند الله الا هذا الدين..

وكذلك فانه تشريف لأمة هذا النبي المشرف صلى الله عليه وسلم، فأمته هي خير الأمم كما ان نبيها خير الأنبياء وإمامهم.

وفي هذا من الدفعة النفسية والرفعة المعنوية ما فيه، ولا ريب أن نفسيتي ومعنوياتي تسمو من خلال سمو منزلتي ووظيفتي ورسالتي في هذه الحياة..

ومن هنا كان لزاماً على كل مسلم أن يستشعر العزة الايمانية كما قال له ربه «وأنتم الأعلون» ولا يستشعر الدونية أبداً مهما كان الواقع المحيط مكفهراً مظلماً..

ان عزتنا مستمدة من ايماننا ومن رسالتنا في الحياة ووظيفتنا وليست تستمد من ظروف نكدة تمر بها أمتنا في حقبة محدودة من تاريخها.

فهذا الضعف الذي نحن فيه استثناء، والأصل العزة والقوة وحمل الأمانة العظمى وهي دعوة الله، وهداية العباد الى الله كما قال ربعي: «الله إبتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله رب العباد».

وصدق ربنا تعالى القائل لنا: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا» والقائل لنا: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله».

وقفة أخرى مع مقاييس البشر وموازينهم وكيف أنها تضل وتنحرف الا ان تعصم بدين الله الحق..

فها هي قريش قبل حادث الاسراء تصعد من غلوائها في مهاجمة ومقاومة النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته، ويغريها على ذلك التصعيد قلة الناصر من حوله صلى الله عليه وسلم وخلو ميدان المدافعة عنه بموت عمه وزوجه...

وها هي الطائف تفوق أهل مكة في السفاهة والرعونة والتطاول على رسول الله صلى الله عليه وسلم وها هو يدعوهم الى الجنة والنجاة فما يزيدون على السخرية به والرد المقذع المؤذي السيء الى درجة أن يغروا به صبيانهم ومجانينهم يرشقونه بالحجارة حتى يدموا عقبيه، ويحميه زيد رضي الله عنه من

تساقط الحجارة ما وسعه.. ولكن السفاهة أكبر من جهده.. فتلجيء الطائف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حائط يجلس فيه محزون النفس على ما لقي من تعنت وصدود.

أقول: هذه صورة عن مقاييس البشر، هذا في نظر الناس ما يليق بالنبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ولكن رسول الله عند الله شيء آخر..

ولذلك لاحظ كيف انه كثر في القرآن الكريم قول الله تعالى في هذه القضايا التي تحتاج الى وزن وقياس وحكم.. أقول كثر فيها قوله سبحانه: عند الله، ليدلك انه هو الذي عنده الميزان الحق..

فهو يقول: ان الدين عند الله الاسلام، ويقول ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم، فأولئك عند الله هم الكاذبون، مهما يكونون عند أنفسهم.. المهم ماذا هم عند الله تعالى..

نعود الى القضية.. فان كان الناس لا يريدون في رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هذا الذي يريدون من شأن هين ويتيم يتنعتونه النعوت ويتعنتونه.. فان الله تعالى مكرمه ورافعه ومدنيه ومقربه..

وما أسفه وأضل مقاييس البشر ان لم تستضيء بنور الايمان وان لم تزن بذلك الميزان..

وقفة أخرى مع فرض الصلاة من فوق سبع سموات.. فيه أكثر من دلالة أولها عظم شأن الصلاة فلم ينزل بها جبريل الى النبي الأمين، وانما استدعي الرسول ليبلغها وليكرم بها وأمته..

ومن هنا ينبغي أن نستشعر معنى الكرامة في الصلاة، ولا نستشعر الثقل وانها شيء مفروض علينا من الخارج نفعله مستثقلين، بل ننشط اليها فرحين فهي معراجنا الى الملأ الأعلى..

وقفة مع الأحاديث النبوية الصحيحة التي قصت علينا ما لقيه النبي الكريم من تفاصيل الحفاوة والتكريم من اخوانه الأنبياء في كل سماء مر بها ومن ملائكة الرحمن عليهم السلام، وما قصته علينا الاحاديث من صور القيامة نعيمها وعذابها حتى يكون المسلم على يقين بالآخرة وكأنه يراها رأي العين وحتى يحذر من كل ما حذر منه النبي الكريم صلى الله

عليه وسلم من مرذول الصفات والمسالك والاخلاق..

ولا ندخل في تفصيلات تلك الأحاديث، فهي معروفة مشهورة والحمد لله.

الاسراء والمعراج

وقفة مع آيات الاسراء:

تبتدئ السورة الجليلة الكريمة بتسبيح الله سبحانه بقول ربنا: سبحان الذي الذي أسرى بعبده ليلاً...

ومعنى التسبيح التقديس والتنزيه لله رب العالمين عن كل نقص وعن كل ما لا يليق به سبحانه...

وسور التسبيح في القرآن عديدة منها ما كان بصيغة الماضي مثل: سبح لله ما في السموات وما في الارض، ومنها ما كان بصيغة المضارع مثل سورة الجمعة: يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم..

ومنها ما كان بصيغة الأمر مثل سبح اسم ربك الأعلى...

وهذه السورة الكريمة جاءت بصيغة المصدر الجامعة لكل الصيغ السابقة فقالت: سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً...

وقد يخطر بالبال أن التحميد ربما كان وارداً في هذا المقام كما قال في السورة التالية للاسراء سورة الكهف: «الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب» كان يمكن أن يكون التحميد بدءاً مناسباً فيقول الحمد لله الذي أسرى بعبده ليلاً، والحق ان التسبيح هو الوجه، ليفهم العباد جميعا أن الله تعالى منزه عن الشبيه وأعماله منزهة عن النقص..

فاسراؤه بعبده عن حكمة عظمى، وعبده الذي حصلت له كل هذه المعجزات ما خرج عن دائرة العبودية ولن يخرج هو وسائر الكون... فسبحان الله تعالى عن أن يشابهه في علوه وعظمته أحد مهما علا وعظم الله شأنه.

وتعميقاً لهذا المعنى اختير لمحمد صلى الله عليه وسلم وصف العبودية وليس وصف الرسالة أو النبوة..

ومع أن السُّرى لا يكون الا ليلاً لكن القرآن الكريم أكد بذكر الليل فقال أسرى بعبده ليلاً... ليفيد التأكيد من ناحية، وليقطع بأن المعجزة بدأت وانتهت كل ذلك ليلاً فقد يبدأ السرى ليلا ثم ينتهي نهاراً، لكن القرآن يقول: أسرى بعبده ليلا،

ليفهم ما ذكرناه والله اعلم.

من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى...

هذا الربط بين أول بيت وضع لعبادة الله في الارض وثاني بيت وضع للعبادة، هذا الربط يستوقف النظر.

فهو بالاضافة الى كونه يحمل دلالة ساطعة صادقة قاطعة على أن النبي عليه الصلاة والسلام حقق هذه المعجزة، من خلا

هذا الربط بين أول بيت وضع لعبادة الله في الارض وثاني بيت وضع للعبادة، هذا الربط يستوقف النظر.

فهو بالاضافة الى كونه يحمل دلالة ساطعة صادقة قاطعة على أن النبي عليه الصلاة والسلام حقق هذه المعجزة، من خلال وصفه عليه أفضل الصلاة لمعالم المكان الذي رآه و يعرفه قومه.. فيكون هذا ادعى لاقامة الحجة عليهم، وتصديقه في ما يخبر به عن نفسه أنه أسري به..

أقول، بالاضافة الى هذا المعنى، وهو على غاية من الأهمية، الا ان هناك معاني أخرى منها هذا الربط المحكم الوثيق بين هذين المسجدين، وقد وضح الربط بينها أيضاً الحديث الشريف: لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد: «المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»... والله تعالى يعلم أن دعاوى عريضة ونزاعاً شديداً سيثور حول وراثة المسجد الاقصى، فربط هذا الربط الوثيق المحكم بين المسجدين... بين المسجد الذي لا نزاع في نسبته للمسلمين وهو المسجد الحرام، وبين المسجد الذي ينازع فيه المبطلون.

فالقرآن يقول لنا من خلال هذا الربط ان المسجدين لحمة واحدة لا تقبل فك الارتباط ولا توهين الصلات..

ثم لاحظ هذا الوصف بالبركة للمسجد الأقصى وما أحاط به من بلاد وأرض، في قوله تعالى: «المسجد الأقصى الذي باركنا حوله».

وقوله في آية أخرى: «ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين. وقوله على لسان موسى عليه السلام: ادخلوا الارض المقدسة أي المطهرة... فهذه الأرض المباركة المقدسة ينبغي أن ننفي عنها كل ما خبّثها أو يحاول تخبيثها.. وهل شعب

خبيث، وهل مسالك خبيثة كمسالك ونفسيات هذا الشعب اللقيط الغريب.. شعب يهود..

القرآن يقول هذه أرض مطهرة مباركة.. هكذا اريدها.. فلتلتق ارادتكم على تطهيرها ولا تقروا فيها لغاصب بشيء ابداً.. بل أصروا على غسلها من ارجاسهم حتى تبقى كما يحب الله ان تبقى..

لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير..

من أوجه كلمة الاسراء أن يرى النبي من آيات ربه، وهنا قال الله لنريه من آياتنا، وفي سورة النجم قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى ووصفت الآيات في النجم بأنها كبرى لأن الذي رآه في المعراج اعظم واضخم من الذي رآه في الاسراء..

ثم ختمت الآية الاولى بوصف الله تعالى بأنه هو السميع البصير. فهو سبحانه المتصف بكل الصفات الجليلة والذي له الاسماء الحسنى، وهو الذي يسمع دعاء نبيه و يرى معاناته فأكرمه بهذه الكرامة.. وهنا ينتهي الحديث عن الاسراء لينتقل الحديث الى ارض الإسراء، بدءاً من قوله تعالى: «وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا. ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبداً شكوراً».

ونقول ان هذا الانتقال من الحديث عن حدث الاسراء الى الحديث عن بني اسرائيل له دلالته، ولا ننسى ان هذه السورة الكريمة اسمها الاسراء، واسمها أيضاً سورة بني اسرائيل.. أقول ان من دلالة هذا أن الخطر الأكبر الذي يتهدد ارض الاسراء هو من بني اسرائيل، ولذلك أعقب الحديث عن الاسراء حديث عن الارض المباركة التي كان اليها الاسراء، وابتدأ الحديث من عند ايتاء موسى الكتاب ليهذب هذا الكتاب مسلك بني اسرائيل، وليكون هدى لهم ونوراً في حياتهم، وليعالج في شخصيتهم قضية مهمة قال عنها القرآن بوضوح: «ألا تتخذوا من دوني وكيلا» وقل لي بربك ما ملخص أزمة هذا الشعب مع أمة الاسلام اليوم؟ ملخص الأزمة أنهم نبذوا كتاب موسى وما اتخذوه هدى بل حرفوه وعبثت أيديهم الآثمة به، واتخذوا القوى الكبرى من دون الله

وكيلاً عظموها أكثر من الله، واستعانوا بها على محاربة أمة نبي الاسراء، واحتلال ارض الاسراء...

ان المشكلة هي في هذا التحالف الشيطاني بين القوى المسماة الكبرى وشعب اسرائيل، ولولا هذا الاتخاذ لتلك القوى وكيلا من دون الله، لما كانت هناك مشكلة...

ثم ذكرهم بنعم الله القديمة عليهم فقال لهم: «ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبداً شكورا»... يا ذرية هذا العبد الصالح الموحد الذي ما استنصر الا بالله ولا اعتز الا بايمانه، ولا اغتر بالكافرين وقوتهم، فنجاه الله من كربه وشكر أنعم ربه عليه لأنه كان العبد الشكور لربه ومولاه وفي الآية تعريض واضح ببني اسرائيل انهم لم يشكروا آلاء الله...

وتأمل الحكمة البالغة في خطابهم بهذا الخطاب ذرية من حملنا مع نوح، وكم استوقفتني هذه الآية لم يناديهم بهذا العنوان؟.. ولم ينادهم بيا بني اسرائيل مثلاً...

أقول: يبدو لي والله اعلم أن القرآن يريد أن يكسر ما يزعمه اليهود من جنسية خاصة لهم تزعم لها حقوقاً بمقتضى ميراث اسرائيل، فالقرآن يقول لهم أنتم كسائر البشرية ذرية نوح فهو الأب الثاني للبشر فليس لكم امتيازات ولا مواريث مزعومة فالفضل للعباد الشاكرين والأكرم عند الله الاتقى والأعبد، وليس الأكرم ذو الميراث الأتلد..

ثم انتقل النص الكريم نقلة أخرى في الحديث مع بني اسرائيل ليصل الى صلب الربط بين مكرهم وارض الاسراء، فقال: «وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علواً كبيرا».

والقضاء ليس بمعنى الالزام والاجبار، فمعلوم من بديهيات العقيدة ان الاجبار لا ينسجم مع العدل، وانما القضاء هنا بمعنى التلازم بين المقدمات والنتائج، فنفسية بني اسرائيل من شأنها ان تنتج هكذا مسالك...

ومن ناحية أخرى هو قضاء بمعنى العلم وسبق التقدير وليس يعني من قريب أو بعيد الاجبار والاضطرار.. وانما هي أخلاق تنتج تصرفات، وصفات تفرز مواقف... ولو كان للاجبار مسلك لكان النص وقضينا

على بني اسرائيل، ولكن النص جاء بصيغة الى بني اسرائيل...

وما المقصود بالكتاب المذكور في النص الكريم هنا: في الكتاب، يبدو والله اعلم أن المقصود به الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها، ولا مانع أن تكون نزلت أيضاً في كتاب بني اسرائيل الذي أكرم الله به أنبياءه من بني اسرائيل، والوعد قد ذكره كتابنا أيضاً كما نقرأ في هذا النص الكريم...

في الكتاب بهذه المفاهيم كلها قضى الله عز وجل الى بني اسرائيل ليفسدن في الارض مرتين.

وهنا سؤال عن الارض ما هي وعن المرتين ما هما، وما تحديدهما؟..

هل المراد بالارض مطلق عموم الارض؟ وأقول: لا. لأن افساد بني اسرائيل في الارض بمعناها العام لا يحد بمرتين ولا بمائتين. ولكن الذي يبدو لي أن المراد بالارض ما تحدثت عنه فاتحة السورة: من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى، فتكون أل في الارض للعهد لا للجنس. فهي الارض المذكورة المحصورة في هاتين البقعتين.

وأما المرتان فنوعيتان وليستا عدديتين...

ولعل المقصود بالمرة الأولى ما أفسده اليهود في عهد صاحب ذكرى الاسراء، خاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم، وكانت النتيجة أن سلطه الله عليهم فأخرجهم من الارض واحتل ديارهم وجاس خلالها...

وأما الثانية فهي مع أمة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وأما مكانها فأرض الاسراء.. «ولتعلن علواً كبيراً» ولقد كان لليهود في المرتين علو كبير اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً و...

فلقد كانوا في المرة الاولى القوة الأولى في الجزيرة العربية، واستمع الى القرآن يتحدث عن حصونهم وصياصيهم المنيعة فيقول: «ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله»... «وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم»...

ويقول: «وأورثكم أرضهم وديارهم واموالهم وأرضا لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديرا».

«فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد

فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا».

فإذا حل ميعاد المرة الاولى للافساد ووقع منكم المتوقع المعلوم سلطنا عليكم عباداً لنا، ولاحظ وصف العبودية كيف ينسجم مع فاتحة السورة أسرى بعبده، وفي هذا الوصف من التعظيم والثناء ما فيه: عباداً لنا، وأخطأت التفاسير التي قالت ان بختنصر أو نبوخذ نصر، فذاك المشرك لا يقال له بهذه الصيغة عباداً لنا.. انما هذا وصف تشريف، لا عبودية قهر، ولكنها عبودية ايمان واختيار.

ثم وصفت الآية هؤلاء العباد بأنهم أصحاب عزم وقوة في الحرب وبأس شديد وهكذا ينبغي أن يكون المسلمون فلا يهنوا أبداً ولا تضعف لهم قناة ولا يلين لهم مغمز حتى لا يطمع فيهم الطامعون، وما أكثر المتربصين بأمة الاسلام، الذين اذا رأوا منها نهزة انتهزوها..

هؤلاء العباد الاشداء سيؤدبون بني اسرائيل ويجوسون خلال ديارهم وهذا الوعد حق قاطع ناجز لأنه وعد الله... ووعد الله مأتي محقق مفعول.

ومما يقطع بأن ما قاله بعض المفسرين أو كثير منهم أن الذي فعل ببني اسرائيل هذا هو القائد الفارسي، مما يقطع بخطأ هذا القول الآية التالية: «ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا». ومعلوم من التاريخ أن الكرة ما ردت لبني اسرائيل على الفرس، وانما ردت الكرة على المسلمين..

ووقفة مع الامداد بالأموال والبنين، ونظرة على واقع القضية وتاريخها ترى أن المدد البشري يأتي أرضنا من كل حدب وصوب، والمال يتدفق عليها من كل فج، واليهودية العالمية مجندة نفسها مستنفرة طاقاتها حتى استطاعت أن تصل الى التفوق العسكري والبشري والاقتصادي الحالي نتيجة ظروف كثيرة ليس هذا وقت الحديث عنها.

وأما أنهم أكثر نفيراً، فمعلوم أن اسرائيل هذا الكيان الدخيل تستطيع أن تستنفر مليون انسان تحت السلاح متى شاءت.. فنسبة ما تستنفره الى من حولها لا تقل عن عشرين الى واحد.

«ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان اسأتم فلها». ومما يقطع بأن هذا الذي يصنعه بنو اسرائيل من شرور ليس مفروضا عليهم أن النص الكريم يفتح لهم باب العودة الى الانسانية وجادة الحق والصواب، ويقول لهم ان أحسنتم فاحسانكم خير عائد الى انفسكم، وان أسأتم فوبال اساءتكم عائد على أنفسكم فأقصروا عن اساءاتكم وافسادكم...

ولكن... انها صفات عمقتها التربية المنحرفة حتى غدت طبعاً ثانياً ثابتاً لا يحول.. «فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا».

والآخرة هي المرة الثانية للافساد، اذا وقعت منكم هذه المرة سنسلط نفس العباد عليكم ليسوؤوا وجوهكم فيذلوكم وليدخلوا المسجد، ولاحظ أكثر من ملاحظة، أولاً أن المسجد لم يذكر في مرة الصراع الأولى، وهذا يؤيد الذي قلناه، فلم يكن الصراع الأول داخلاً في حوزة اليهودية فيه أي مسجد، أما الصراع الثاني فهو على المسجد.

ثم لاحظ ثانياً ان وجهة المقاتلين المسلمين من أمة صاحب الاسراء صلى الله عليه وسلم، أقول ان وجهتهم هي المسجد، وهدفهم تحرير المسجد وما حوله، وليدخلوا المسجد عمارة له وعبادة لله فيه كما دخلوه فاتحين أول مرة...

وما هي هذه المرة الاولى؟ هل هي دخول نبيهم له؟ نقول لا. ولكن الدخول المقصود هو دخول المسلمين فاتحين زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فهذه الأمة ستدخل المسجد عزيزة منتصرة فاتحة كما دخلته أول مرة، وليتبروا ما علوا تتبيرا، وليهدموا ما علا اليهود تتبيرا وتدميرا، حتى يجعلوه سواء والارض.

ولاحظ أن اليهود الآن يحاولون خنق المسجد الأقصى بناطحات السحاب وانا لنراها باذن الله دكاً مسواة بالتراب.. هذا اذا أخذنا بالاسباب واعتصمنا بهذا الكتاب. هذا بشرى من الله ووعد، فاستمعوا:

«ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً».. وهذا الذي قررته الآية قررته

الأحاديث: تقاتلكم يهود فتسلطون عليهم.. وعند وعد الله ورسوله بالنصر على يهود في المرة الثانية نقف قليلاً لنقول: ان أمتنا ينبغي أن تكون واثقة من وعد الله. فلا تغتر بمظاهر قوة يحاول العدو أن يبهر عيوننا بها، و يشكك ضعاف الايمان فينا بوعد الله..

وأما المؤمن فلا تزيده رؤية قوة العدو الا ثقة بموعود الله كما قال سبحانه: «ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما».

وأما ضعاف الايمان فيقولون اذا رأوا القوة: «ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً» ولذلك فانهم ينهارون و يستسلمون.

المعركة إذن لا يصمد فيها الا المؤمنون ولا يصبر فيها الا الموصولون بمعين القوة من هذا الكتاب، والواثقون بربهم هؤلاء هم عمار المساجد والمسجد الاقصى.. ونقول ايضاً لأمتنا ينبغي أن نختصر الوقت والجهد فلا نضيع طاقتنا هباء، لأن المعركة المقبلة معركة ايمان، فكل راية غير راية الايمان محكوم على حامليها بالفشل سلفاً.. فلا يرتضن غير راية الايمان راية، وغير سبيل المؤمنين سبيلا.

كان هذا الحديث في فاتحة سورة الاسراء، والعجيب أن السورة الكريمة عادت في ختامها للحديث عن بني اسرائيل.. ولاحظ ان ختام السورة يتحدث عن خاتمة المطاف مع بني اسرائيل.. «وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً».

وكما عقب على وعد الآخرة في أول السورة بحديث عن القرآن علق على وعد الآخرة هنا أيضاً بحديث عن القرآن فقالت السورة: «وبالحق أنزلناه وبالحق نزل»..

أما وعد الآخرة الذي تكلمت عنه الآية، فاما أنه وعد القيامة، واما انه وعد مرة الافساد الآخرة كما قال أول السورة... هذه وقفة عابرة عجلى مع آيات الاسراء التي تحدثت عن الاسراء وعن ارض الاسراء وعن قصة هذه الارض مع بني اسرائيل...

وختاماً نقول: إن هذا الحديث عن صاحب ذكرى الاسراء صلى الله عليه وسلم يزيدنا حباً له من خلال ما

رأينا وعلمنا من شأنه العظيم عند الله وعند أنبياء الله وملائكته، أفلا يكون عظيم الشأن عندنا أيضاً...

وتعظيم شأنه صلى الله عليه وسلم يكون بمحجته ومحبته تكون باتباع هديه وسنته وطريقته، ولو سُلك الى الله كل سبيل لم يقبل من الناس الا أن يكونوا على سنة النبى صلى الله عليه وسلم. ومن محبته صلى الله عليه وسلم أن نكثر الصلاة عليه، وأن ندعو الى احياء الدين الذي بلغنا إياه وتجديده في حياة الناس... ومن محبته ألاّ نقدم بين يديه آراءنا ولا نرفع فوق صوت سنته اجتهاداتنا وأصواتنا...

ونستفيد من الحديث عن أرض الاسراء أن نحبها أكثر، لأنها الارض التي بارك الله فيها، ولانها مسرى محمد صلى الله عليه وسلم، وهي قبلتنا الأولى ومهبط الأنبياء... ولئن كان الناس يحبون الأماكن لأنها مسقط رؤوسهم أو ملاعب صباهمْ فانا نحب المسجد الأقصى والارض المباركة حوله بدافع من الدين والعقيدة... وليتفوق في قلوبنا حبنا لها المنبثق من الدين على حب اليهود المزعوم لها... وليتفوق ما نقدمه لأجلها على ما يقدمونه، أما أن يجتهدوا للاستيطان فيها ليل نهار ثم لا نقدم لها الا الكلمات.. فهذا خذلان.. وليس بالحب.. ان حبنا لمسرى محمد صلى الله عليه وسلم فرع من حبنا لصاحب هذه الذكرى العطرة.. صلى الله عليه وملائكته..

وبعد فهذا يوم من أيام الله ينبغي تذكره كما أمر الله في قوله: وذكرهم بأيام الله»، وينبغي اجتلاء العبر التي فيه.. ونختم هذه الوقفات بأبيات من ديوان «الطريق الى القدس»:

شهد الخلق آية الحق
لما أتمها الاسراء
صاعد مثلما اراد له الله
أمين تحفه الأمناء
قيل يا قدس هذه مسحة النور
أفاضت وابشري يا سماء
بارك الله في رحابك يا قدس
ونادى بالنصر فيك النداء.

• • • •

أفترضى بأن يقام لاسرائيل
في القدس موطن وبقاء
لن يقر التاريخ هذا ولن
ترضى العلا أن يهوّد الاسراء

وصلى الله على صاحب الذكرى وعلى آله الطيبين وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين...